

من وصايا الإمام الصادق (ع) الذهبية

اعتنى الإمام جعفر الصادق ^(ع) عناية كبيرة بتربية شيعته وأصحابه وأتباعه وطلابه على أخلاق الإسلام وآدابه،
ويجد المنتبع لثرائه كثيراً من الوصايا والتوجيهات والإرشادات الأخلاقية والتربوية والسلوكية بهدف
بناء شخصيات ذات قمم علمية وأخلاقية عالية، بحيث يعكسوا في سلوكهم وتعاملهم مع الناس أخلاق أهل
البيت ^(عليهم السلام) المباركة.

ومن أهم هذه الوصايا الذهبية ما رواه الشيخان الصدوق والطوسي بإسنادهما: عن سليمان بن مهران، عن
الإمام الصادق ^(ع) «مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ، كُونُوا لَنَا زَيْنًا وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا، قُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَاحْفَظُوا أَسِنَّتَكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ الْفُضُولِ وَقَبِيحِ الْقَوْلِ» [1].

في هذا النص الوارد عن الإمام الصادق ^(ع) نقول خمس وصايا مهمة، وهي:

1- كُونُوا لَنَا زَيْنًا وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا؛

في هذا المقطع من وصيته المهمة يشير الإمام الصادق ^(ع) إلى أهمية أن تنعكس أخلاقيات الإسلام وسيرة أهل
البيت الأخلاقية على سلوكيات الإنسان المؤمن وتعامله مع الناس؛ بحيث يكون زينا في دينه، وزينا في
أخلاقه، وزينا في تعامله، وزينا في كلامه، وزينا في أدبه؛ وبهذا يكون ملتزماً بوصية الإمام
الصادق ^(ع) ويكون مقتدياً بإمامه، وسائراً على نهجه، وينظر إليه الآخرون باحترام وتقدير مما يعطي صورة
حسنة عن أخلاقيات وآداب أتباع مدرسة أهل البيت الأطهار ^(عليهم السلام).

وقد أشار الإمام الصادق ^(ع) إلى أهمية التعامل الحسن مع الآخرين، والالتزام بأخلاق المعاشرة وآدابها، فهذا
أمر مطلوب وراجح في نفسه، كما أنه ينعكس إيجابياً على نظرة الآخرين لأتباع مدرسة أهل البيت الأطهار،
مما قد يدفعهم للتأثر الإيجابي بمنهجهم وسيرتهم، فيسيرون على نهجهم، ويقتدون بهم، فقد روى الكليني
بسند صحيح: عَنْ مَوْفُوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ زَيْدٍ الشَّحَّامِ، قَالَ: قَالَ

لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(عليه السلام) «وَرَأَى عَلِيٌّ مَن تَرَى أَنْزَهُ يُطِيعُنِي مِنْهُمْ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِي السَّلامَ، وَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَرَعَ فِي دِينِكُمْ، وَالْإِجْتِهَادِ لِلَّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَطَوْلِ السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ؛ فَبِهِذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَدُّوا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ انْتَهَمَ نَذْرُكُمْ عَلَيْهِا، بَرَّاءٌ أَوْ فَاجِرًا، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْخَيْطِ، وَالْمِخْيَطِ؛ صَلُّوا عَشَائِرَكُمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرَضَاهُمْ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمْ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَّقَ الْحَدِيثَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ: هَذَا جَعْفَرِيٌّ، فَيَسُرُّ نبي ذلك، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّرُورُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرِيٍّ؛ وَإِذَا كَانَ عَلِيٌّ غَيْرَ ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْهِ بِلَاؤُهُ وَعَارُهُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرِيٍّ؛ فَوَ اللَّهِ لَاحِدٌ ثَنِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ الرَّجُلَ كَانَ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَكُونُ زَيْنَهُا: آدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَقْصَاهُمْ لِلْحُقُوقِ، وَأَصْدَقَهُمْ لِلْحَدِيثِ، إِلَيْهِ وَصَايَاهُمْ، وَوَدَائِعُهُمْ، تُسْأَلُ الْعَشِيرَةُ عَنْهُ، فَتَقُولُ: مَنْ مِثْلُ فُلَانٍ؟ إِنْزَهُ لَادَانَا لِلْأَمَانَةِ، وَأَصْدَقُنَا لِلْحَدِيثِ» [2].

وفي هذه الوصية تأكيد على أهمية الالتزام بآداب وأخلاق الإسلام في العشرة والمعاشرة، والتعامل الحسن مع أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى؛ والالتزام معهم بأخلاقيات الإسلام كأداء الأمانة، وصدق الحديث، وحسن الخلق، وأداء الحقوق، وعيادة المرضى، وتشيع الجنائز، وحسن الجوار وغير ذلك من الوصايا والتعليمات القيمة التي أوصى بها الإمام الصادق ^(عليه السلام) حتى يكون الشيعة زيناً لمدرسة أهل البيت الأطهار.

ولا شيء كحسن الخلق يجلب المحبة والمودة بين الناس، فقد روي عن الإمام الصادق ^(عليه السلام) قال: «طَلَبْتُ مُحِبَةَ النَّاسِ فَوَجَدْتُهَا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ» [3]، وعنه ^(عليه السلام) «حُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمَوَدَّةِ» [4].

وهذا يؤكد على أهمية التعامل الأخلاقي مع الناس؛ لأنه أساس البناء القيمي والتربوي والأخلاقي لأي مجتمع ناهض، وأن الاختلاف في قضايا ثقافية أو فكرية أو مذهبية أو دينية ليس مبرراً للتعامل الشائن مع الآخرين.

إن التعامل الحسن مع الناس، والالتزام بأخلاق المعاشرة وآدابها، أمر مطلوب وراجح في نفسه عقلاً وشرعاً، وأما التعامل الشائن والسيئ فأمر قبيح في نفسه ومنهي عنه عقلاً وشرعاً.

ولذا نهى الإمام الصادق عليه السلام التعامل الشائن مع الناس، وأوصى شيعته وأصحابه بأن يكونوا زيناً لهم وليس شيناً عليهم، وقد روي عنه عليه السلام قال: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا يُعَيِّرُونَا بِهِ، فَإِنَّ وَلَدَ السَّوَةِ يُعَيِّرُ وَالِدَهُ بِعَمَلِهِ، كُونُوا لِمَنْ انْقَطَعَتْ إِلَيْهِ زَيْنًا وَلَا تَكُونُوا عَلَيْهِ شَيْنًا» [51].

ومعنى الشين في اللغة: هو العيبُ والفُجُحُ، فكل قول أو فعل معيب أو قبيح فهو شين لصاحبه، بخلاف الزين الذي هو كل شيء حسن أو جميل.

ومن مصاديق الشين هو عدم الورع عن محارم الله، التعامل السيئ مع الآخرين، سوء الأخلاق، عدم أداء الأمانة، الكذب في القول والفعل، خلف الوعد، جار سوء، عدم أداء الحقوق لأصحابها، الغش والتدليس والاحتيال، السلوكيات الخاطئة في مناسبات أفراح أهل البيت كممارسة التفحيط، عدم التزام المرأة المؤمنة بالحجاب الشرعي... وغيرها من مصاديق الشين، ومثل هذه السلوكيات الشاذة والأخلاق السيئة تنعكس سلباً على النظرة لأتباع مدرسة أهل البيت الأطهار، وهو ما يؤلم قلب الإمام عليه السلام

وقد دعا الإمام عليه السلام المحبوب الناس إلى أهل البيت بحسن الأخلاق وجمال الأفعال، فقد روي عنه عليه السلام قال: «كُونُوا لَنَا زَيْنًا وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا، حَبِّبُونَا إِلَى النَّاسِ وَلَا تُبْغِضُونَا إِلَيْهِمْ، جُرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ وَادْفَعُوا عَنَّا كُلَّ قَبِيحٍ، فَمَا قِيلَ فِينَا مِنْ خَيْرٍ فَدَحْنُ أَهْلِهِ، وَمَا قِيلَ فِينَا مِنْ شَرٍّ فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ كَذَلِكَ» [61].

وأفضل وسيلة لتحبيب الناس إلى أهل البيت عليهم السلام إلى الاقتداء بهم هو التحلي بالأخلاق الفاضلة، وفعل الخير، والتعامل الحسن مع الآخرين، والإحسان إليهم؛ فالناس تتأثر بما تراه من أفعال أكثر مما تتأثر بالكلام، ولذا روي عنه عليه السلام قال: «كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ أَسَدَتِكُمْ، لِيَدْرُوا مِنْكُمْ الْوَرَعَ وَالْاجْتِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْخَيْرَ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ» [71]، وعنه عليه السلام قال: «لِلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ: «أَيُّ مَفْضَلٍ، قُلْ لَشِيعَتِنَا: كُونُوا دُعَاةً إِلَيْنَا بِالْكَفِّ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَاتِّبَاعِ رِضْوَانِ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ إِلَيْنَا مُسَارِعِينَ» [81].

وفي كتاب دعائم الإسلام: رُوينا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أَنَّ نَفَرًا أَتَوْهُ مِنَ الْكُوفَةِ مِنْ شِيعَتِهِ ... فَلَمَّا حَضَرَهُمْ الانْصِرَافُ وَوَدَّعُوهُ قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: أَوْصِنَا يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِصْبِرْ بَيْنَ قَوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعْاصِيهِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ لِمَنْ ائْتَمَذَكُمْ، وَحُسْنِ الصَّحَابَةِ لِمَنْ صَحِبْتُمُوهُ، وَ أَنْ تَكُونُوا لَنَا دُعَاةً صَامِتِينَ».

فَقَالُوا: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَيْفَ نَدْعُوا إِلَيْكُمْ وَنَحْنُ صُمُوتُ؟

قَالَ: «تَعْمَلُونَ مَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَتَتَنَاهَوْنَ عَمَّا نَهَيْناكُمْ عَنْهُ مِنْ ارْتِكَابِ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَتُعَامِلُونَ النَّاسَ بِالصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، وَتُؤَدُّونَ الْأَمَانَةَ، وَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يَطَّلِعُ النَّاسُ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى خَيْرٍ، فَإِذَا رَأَوْا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ قَالُوا: هَؤُلَاءِ الْفُلَانِيَّةُ، رَحِمَ اللَّهُ فُلَانًا، مَا كَانَ أَحْسَنَ مَا يُؤَدِّبُ أَصْحَابَهُ، وَعَلِمُوا فَضْلَ مَا كَانَ عِنْدَنَا، فَسَارَعُوا إِلَيْهِ».

أَشْهَدُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ، لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ أَوْلِيَاؤُنَا وَشِيعَتُنَا فِيمَا مَضَى خَيْرٌ مَن كَانُوا فِيهِ، إِنْ كَانَ إِمَامٌ مَسْجِدٍ فِي الْحَيِّ كَانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ مُؤَدِّنٌ فِي الْقَبِيلَةِ كَانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ وَدِيعَةٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ أَمَانَةٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ عَالِمٌ مِنَ النَّاسِ يَقْصُدُونَهُ لِدِينِهِمْ وَمَصَالِحِ أُمُورِهِمْ كَانَ مِنْهُمْ، فَكُونُوا أَنْتُمْ كَذَلِكَ، حَبِيبُونَ إِلَى النَّاسِ، وَلَا تُبْغِضُونَا إِلَيْهِمْ» [9].

2- قولوا للناس حسناً:

من وصايا الإمام الصادق (عليه السلام): القول الحسن للناس، كما روي عنه: «قولوا للناس حسناً»، في إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [10] ، وقد روي عنه في بيان معناها، قوله (عليه السلام): «اتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَحْمِلُوا النَّاسَ عَلَى أَكْتافِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾» [11]» [12].

وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) تفسيره لنفس الآية المباركة: «قولوا للناس أحسنَ ما تُحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ فِيكُمْ» [13].

إن الكلام العذب، والقول الحسن، وفصاحة المنطق يؤثر إيجابياً في الناس، ويؤدي إلى كثرة الأصدقاء والأحبة، ولذا ورد عن الإمام علي عليه السلام: «عَوِّدْ لِسَانَكَ لِيَيْنَ الْكَلَامِ وَبَذَلِ السَّلامَ، يَكْثُرْ مُحِبُّوكَ وَيَقِلَّ مُبْغِضُوكَ» [14] ، وعنه عليه السلام: «مَنْ عَذَّبَ لِسَانَهُ كَثُرَ إِخْوَانُهُ» [15].

والكلام الحسن من عوامل النجاح والتوفيق لما روي عنه عليه السلام: «مَنْ حَسُنَ كَلَامُهُ كَانَ النَّجَحُ أَمَامَهُ» [16].

ومن مصاديق القول الحسن: الكلام بلباقة، استخدام الألفاظ الجميلة، مراعاة مشاعر الآخرين واحترامهم، وأما من يطعن في من يختلف معهم، ويلقي القول على عواهنه بلا ضوابط وبدون منطق، ويتلفظ بألفاظ جارحة ومؤذية؛ فضرره جسيم، وخطره عظيم.

وقد اعتبر الإمام الصادق عليه السلام أن عذوبة الكلام دليل على نضج العقل، لما روي عنه عليه السلام: «مَنْ عَذَّبَ لِسَانَهُ زَكَ عَقْلُهُ» [17].

كما أن الفصاحة في الكلام من علامات الكمال، لقوله عليه السلام: «ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنِ رُزِقَهَا كَانَ كَامِلاً: الْعَقْلُ، وَالْجَمَالُ، وَالْفَصَاحَةُ» [18] ، لأن الكلام الفصيح يعبر عن عقل رشيد، وله تأثير جاذب للقلوب، ولذا قيل: إن من البيان لسحرا.

3- واحفظوا ألسنتكم؛

الوصية الثالثة من وصايا الإمام الصادق عليه السلام عن الكلام بالباطل، والكلام البذيء، وكلام اللغو واللهو، وكلام الفُحْش والفاحش.

ومن مصاديق حفظ اللسان عدم الرد على الجهال والسفلة، وعدم النزول إلى مستواهم الهابط، فيترفع المرء عنهم بعدم الجواب على لغوهم وبهتانهم، لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [19] قال: «هُوَ أَنْ يَتَّقَوْا الرَّجُلَ عَلَيْهِكَ بِالْبَاطِلِ، أَوْ بِأَتْيِكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ، فَتُعْرِضَ عَنْهُ لِلَّهِ» [20].

وقد يأتي حفظ اللسان بمعنى الصمت في مقابل الكلام، لأن فيه السلامة والنجاة، لما روي عن رسول

اللَّسَانِيَّةُ قَالَ: «سَلَامَةُ الْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ اللَّسَانِ» [21] ، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ فِي حِفْظِ لِسَانِهِ» [22].

وأما من يكثر من الكلام والثرثرة، ولا يحفظ لسانه فإنه قد يوقع نفسه في مشاكل عويصة، فربَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أَهْلَكَهُ لِسَانُهُ!» [23] ، وعنه قال: «رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، فَخَزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخَزُنْ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ» [24].

وقد يتكلم المرء بكلام ثم يندم على كلامه، لأنه يكتشف أنه لم يكن موفقاً فيه، فيصبح في وثاقه وأسيراً له، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام «الكلامُ في وثاقِكَ ما لم تتكَلَّمْ بهِ، فإذا تكَلَّمْتَ بهِ صِرْتَ في وثاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كما تَخْزُنْ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ، فَربَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً» [25] ، وعنه قال: «احْفَظْ لِسَانَكَ؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ أُسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ، فَإِنْ أَطْلَقَهَا صَارَ أُسِيرًا فِي وَثَاقِهَا» [26].

ومن الخزي أن يتجاهر الإنسان بالمعصية فيفضح نفسه بكلامه من باب التفاخر بارتكابه المعاصي، لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّاهُ بَعْدَ خِزْيٍ أَجْرِي فَصَحَّحْتَهُ عَلَيَّ لِسَانَهُ» [27].

وللكلام آفات، وللصمت حسنات، فإذا كان المرء صامتاً يكتب محسناً، وأما إذا تكلم يكتب محسناً إذا أحسن كلامه، ويكتب مسيئاً إذا أساء كلامه، ولذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يُكْتَبُ مُحْسِنًا مَا دَامَ سَاكِتًا، فَإِذَا تَكَلَّمَ كُتِبَ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا» [28].

وفي الصمت السلامة، لما روي عن الإمام علي عليه السلام قال: «فِي الصَّمْتِ السَّلَامَةُ مِنَ النَّدَامَةِ، وَتَلَاوِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِ فَائِدَةٍ مَا فَاتَ مِنْ مَنَظَرِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ» [29].

وإذا كان الكلام فيه راحة للروح، لأن طبيعة الإنسان يحب أن يتكلم، فإن السكوت فيه راحة للعقل، لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام «لَا تُطَقُّ رَاحَةُ الرُّوحِ، وَالسُّكُوتُ رَاحَةُ الْعَقْلِ» [30].

من آفات اللسان الفضول، وهو الكلام الزائد الذي لا فائدة فيه، والكلام فيما لا يعنيه، وقد أوصى الإمام الصادق عليه السلام عن كلام الفضول، وترك الكلام فيما لا يعنيه، وقد ورد عنه عليه السلام قال: «مَنْ عَلِمَ مَوْضِعَ كَلَامِهِ مِنْ عَمَلِهِ فَلْيَلْصِقْ كَلَامُهُ فِيمَا لَا يَعْنيه» [31].

وقد ورد في روايات كثيرة ذم الكلام فيما لا يعنيه أو إظهار كل ما يعلمه، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «اسمَعُوا مِنِّي كَلَامًا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدُّهُمِ الْمُؤَفَّفَةِ: لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدُكُمْ بِمَا لَا يَعْنيه، وَلَيَدَّعُو كَثِيرًا مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يَعْنيه حَتَّى يَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا، فَزُبَّ مُتَكَلِّمٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ بِكَلَامِهِ» [32]. وأكد أمير

المؤمنين عليه السلام على ذلك بقوله أن «لَا تَتَكَلَّمْ بِكُلِّ لَمِيعٍ مِمَّا تَلَحَّظُ، بِكَعَفِظٍ يُذَلِّلُ» [34] هـ. لا» [33]. وعنه

وقد أوضح الإمام الصادق عليه السلام أن العالم لا يتكلم إلا بما فيه فائدة علمية أو عملية للناس، ولا يتكلم بفضول الكلام، لما روي عنه عليه السلام قال: «العالمُ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْفُضُولِ» [35].

ومن كلام الفضول كثرة الإطراء والمدح، ومن الطريف ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: جاء شاعرٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأطراه، فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «قُمْ مَعَهُ فَاقْطَعْ لِسَانَهُ». فَوَجَّهَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْطَعُ لِسَانَهُ؟!

قال: «إِنَّمَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانَهُ بِالْعَطَاءِ» [36].

فالرجل فهم أنه يقطع لسان الشاعر على وجه الحقيقة، بينما كان قصد رسول صلى الله عليه وآله وسلم قطع لسانه على وجه المجاز، والمراد به إعطاؤه المال ليوافقه عن كلام الإطراء والفضول، فبالإحسان والعطاء يقطع اللسان سواء عن كلام الفضول أو عن الإساءة والفحش في الكلام، ولذا روي عن الإمام علي عليه السلام قال: «الإحسانُ يَقْطَعُ اللِّسَانَ» [37].

وعن عكرمة: إِنَّ شَاعِرًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، اقْطَعْ عَنِّي لِسَانَهُ». فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَحُلَّةً.

قال: قَطَعْتَ وَاللَّاهَ لِسَانِي، قَطَعْتَ وَاللَّاهَ لِسَانِي [38].

5- وكُفُّوها عن ... فَبَيِّحِ الْقَوْلَ:

ختم الإمام الصادق عليه السلام في هذا النص المتقدم في أول الكلام بالدعوة إلى الكف عن قبيح القول، وهو ما يعني تجنب الكلام الجارح والبذيء والفاحش، والتحلي بعفة اللسان، والتزين بطيب الكلام وأحسنه.

ومن مصاديق قبح القول: القول البذيء، القول الفاحش، القول الباطل، قول الزور، السب والشتم، وقد ورد التحذير عن ذلك في روايات متكاثرة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ» [39]، وعنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّيَّ الْمُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الْبَذِيَّ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ» [40].

وروي الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تُخْبِرُكُمْ بِأَعْدَائِكُمْ مِنْ دِيَارِهَا؟»

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «الْفَاحِشُ الْمُتَفَحِّشُ الْبَذِيُّ» [41].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعِيَّةَ عِيَّةَ الْإِسَانِ لَا عِيَّةَ الْقَلْبِ - مِنْ الْإِيمَانِ، وَالْفُحْشَ وَالْبَذَاءَ وَالسَّلاطَةَ مِنْ النَّفَاقِ» [42].

وعنه قال: «إِذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ لِأَخِيهِ: أَفٍّ! خَرَجَ مِنْ وَلَايَتِهِ، وَإِذَا قَالَ: أَنْتَ عَدُوٌّ وَبِي كَفَرٌ أَحَدُهُمَا، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا وَهُوَ يُضْمِرُ عَلَى الْمُؤْمِنِ سُوءًا» [43].

ومن مصاديق قبح القول: السب والشتم، وقد نهى عنه في الجملة؛ لأنه يؤدي إلى العداوات والخصومات والأحقاد بين الناس، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَسُبُّوا النَّاسَ فَتَكْتَسِبُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ» [44].

ومن خاف الناس لسانه لقبحه وبذاءته فهو يسير على الطريق الخطأ، لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «خَفَ

الناسُ لِسَانَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ» [45].

ومن علامات اتباع الشيطان عدم المبالاة بما يقول أو يقال فيه و عنه، لما روي عنه أنه قال: «(إنَّ) مِنْ علاماتِ شِرْكِ الشَّيْطَانِ الَّذِي لَا يُشْكُّ فِيهِ أَنْ يَكُونَ فَحَّاشًا، لَا يُبَالِي مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ فِيهِ» [46].

بهذه الوصايا الذهبية الخمس التي أوصى بها الإمام الصادق في هذا الحديث الشريف أوضح الإمام ما ينبغي للمؤمنين الالتزام به في تعاملهم مع الآخرين من أخلاق حسنة وأفعال جميلة، حتى يكونوا زينا لأهل البيت يحبوا الناس إليهم، كي يقتدوا بهم، ويسيروا على نهجهم، ويتأثروا بسيرتهم المباركة.

والحمد لله رب العالمين